

الصهيونية في السينما

مصطفى درويش

الصورة اصدق انباء من الكلمة ، ولا غرابة في هذا لان الصورة تعبر عن الواقع بالواقع في حين ان الكلمة لا تعدو ان تكون تعبيراً عنه بالرمز . ولعله مما يؤيد ذلك تلك الصورة التي استهلكت بها مجلة « كراسات السينما » الفرنسية عددها عن ديسمبر عام ١٩٦٣ المكرس للسينما الأمريكية (١). فما الذي جاءت به هذه الصورة من انباء تعبر عن الواقع تعبيراً اصدق من الكلمة ، بل غيه غناء عنها ؟

ان الصورة عن هوليوود عام ١٩١٨ اي في عهد الرواد الاوائل الذين بنوا مصنع الاحلام . وهو عهد يمتد من عام ١٩١٣ حتى عام ١٩١٩ . وفي الصورة نخبة من هؤلاء الرواد لا تزيد عن سبعة رجال وامراة واحدة هي « جلوريا سوانسون » نجمة السينما الصامته الذائعة الصيت . ولا يهنا من الرجال السبعة سوى ثلاثة شاعت الصدفة بل قتل الحكمة ان يتراسوا الى جوار بعض محيطين بالنجمة المتدثرة بمعطف من فرو اسود ثمين . فمن هم هؤلاء الرجال الثلاثة الذين وقفوا الى جوار بعض متساندين ؟

اولهم الى اليسار الصورة هو « هيربرت روتشيلد » يليه « ادولف زوكور » ثم « سيسيل ب دي ميل » ، اي الممول فالمنتج فالمرج . وقد لعب كل واحد منهم دوره الهام وبتنسيق تام في بناء المصنع الذي ظل ينتج الافلام لمدة خمسين عاما او ما يزيد من عمر الزمن . ويبدو ان لا يحكم على الامور الا بمظاهرها ان دور « ادولف زوكور » و « سيسيل ب دي ميل » في بناء مصنع الافلام هو الدور الرئيسي . الاول باعتباره الرائد المجري الذي أسهم في تأسيس شركة « بارامونت » - تلك الشركة التي تعد بحق أهم اختراعات هوليوود وأكثرها تأثيراً في مسار السينما الأمريكية - والذي نحت عبارة « الجمهور لا يخطئ أبداً » (٢) لتتخذ منها هوليوود شعاراً لسلمها التي غزت بها القلوب والجيوب ، وتبريرا لانتاج سوقي لا يراعي جرمة لصدق او لفن .. واكتشف نظام النجوم ترصع به سماء عاصمة السينما ليتحول الى سديم بدايته « ماري بيكفور » فتاة بريئة معبودة للجماهير ونهايته « مارلون براندو » ابا روحيا عدوا للجماهير . ولانه ما زال يعيش ليطغى يوم السابع من يناير الماضي مائة شمعة (٣) .. ومن حول رأسه الذي اشتعل شيبا ابطال هم في حقيقة الامر بقايا كعبة السينما تحولت الى اطلال .. ولو دققنا في وجوه هؤلاء الابطال لتعرفنا بعد عناء على شارلتون هستون وجريجوري بك وبوب هوب وبت ديفيز وجروثو ماركس وغيرهم ممن كانوا نجومنا في سالف الاوان .

والثاني « دي ميل » باعتباره الرائد الأمريكي الذي أسهم بجرانه وحذقه في انتاج واخراج سبعين فيلماً (٤) بدأت صامته « بزوجة الهندي » (١٩١٣) وانتهت متكلمة « بالوصايا العشر » (١٩٥٦) .. واستباح الاديان والقصص في الكتاب المقدس فظهر « موسى » على الشاشة مرتين صامتا مرة (١٩٢٣) ومتكلما مرة اخرى (١٩٥٦) والسيد المسيح في « ملك الملوك » (١٩٢٧) و « شمشمون ودليلة » (١٩٤٩) . واستحدثت بعض القواعد لتحريف التاريخ وتشويهه .. ما تزال جمهرة مخرجي